## المحاضرة الثانية

- **التنافس الاستعماري في منطقة الخليج**

**( البرتغال ) :**

تعرضت منطقة الخليج العربي منذ القرن السادس عشر الميلادي إلى غزو استعماري قامت به بعض الدول الأوروبية، حيث كان العرب ، خاصة في منطقة الخليج ، يتحكمون في طرق التجارة الرئيسية وخاصة التجارة البحرية من الهند إلى أوروبا. وقد قامت كل من البرتغال وأسبانيا بأول المحاولات في ذلك الاتجاه عندما قامت كل منهما ببدايات حركة الاستكشافات الجغرافية طمعا – كما ذكرنا من قبل – في التخلص السيطرة العربية على طرق التجارة البحرية التي كانت خاضعة في ذلك الوقت لحكم المماليك .

وقد نجحت المحاولات البرتغالية والاسبانية في السيطرة على منافذ تجارة الشرق في الخليج العربي والبحر الأحمر والتحكم بمضيقي هرمز وباب المندب. وقد كان لتشتت القوى الإسلامية والعربية في الشرق ، إضافة إلى كثرة الصراعات والحروب التي كانت عاملا مساعدا في تنفيذ خطة البرتغاليين وانتشارهم في المنطقة. وبعد نجاح البرتغاليين في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ووصلهم إلى الهند في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، عملوا على التحكم بالطرق الملاحية عبر المحيط الهندي والخليج العربي، والبحر الأحمر وأصبح الخليج وجنوب الجزيرة العربية مجالين للتنافس الاستعماري.

- الاستعمار البرتغالي:

فكانت البرتغال أول الدول الاستعمارية الغازية للمنطقة العربية بصفة عامة ومنطقة الخليج بصفة خاصة، فقد كون البرتغاليين إمبراطورية استعمارية قوية أثناء حركة الكشوف الجغرافية فنشروا تجارة الرقيق وجلبوا العبيد من أفريقيا خاصة غربها وباعوهم في أسواق أوروبا ثم عبروا رأس العواصف المسمى حاليا برأس الرجاء الصالح ١٤٩٢م ووصلوا إلي شرق أفريقيا ثم تابعوا إلي الهند فاحتكروا التجارة وسيطروا على الطرق الملاحية وانشئوا العديد من الشركات التجارية في الشرق ، يضاف إلي ذلك حملات التبشير والتنصير بالقوة التي مارسوها بدافع من الحقد على الإسلام والمسلمين.

واتجه القائد البرتغالي – البوكرك - بعد ذلك نحو الخليج العربي قاصدا الاستيلاء على - رأس الحد – ولكن بسبب مقاومة الشيخ سيف الدين حاكم جزيرة هرمز اضطر البرتغاليين لعقد الصلح الذي بمقتضاه اعترفوا بحكم الشيخ سيف الدين على الجزيرة.

وعند هذه النقطة تتضح سياسة إيران التي كانت دوما ضد العرب وبالتالي وقفت في هذا الصراع إلى جانب البرتغاليين وتحالفت معهم ضد العرب وضد الشيخ سيف الدين وأجبرته على قبول الحماية البرتغالية.

- أن تتحالف البرتغال وفارس ضد الدولة العثمانية.
- يتنازل الشاه عن هرمز و يعترف بالحماية البرتغالية عليها.
- وعد البرتغاليون الشاه بفتح – جاوه - للتجارة الفارسية، ورغم ذلك تشير المصادر إلى أن – ألبوكرك - أخبر سفير الشاه في عام ١٥١٥م بأن أي تاجر فارسي يضبط في أي مقاطعة أخرى في الهند باستثناء – جاوه - سيفقد بضائعه ويخضع لغرامات باهظة.
- ويشير هذا الاتفاق ليس فقط لتحالف إيران مع البرتغال ضد العرب ولكن أيضا لأطماع الإيرانيين الاستعمارية في منطقة الخليج العربي.

ثم استولى البرتغاليين بعد ذلك على مدينة صور ثم مسقط رغم المقاومة العنيفة التي وجدها البرتغاليون والتي بسببها دمروا واحرقوا كل ما واجههم في تلك المدن حتى المسجد الكبير في مسقط أحرقوه وأقاموا كنيسة مكانه. وهناك الكثير من المصادر التي تتحدث عن الخراب والدمار الذي أوجده البرتغاليون في تلك المنطقة.

وبسبب احتلال البرتغاليين منطقة الخليج العربي انهار النشاط البحري لعرب الخليج وهو مصدر رزقهم الوحيد أثناء تلك الفترة. وكانت القوى الإسلامية إبان تلك الفترة تتمثل في المماليك الذين حاولوا التصدي للخطر البرتغالي لكنهم انهزموا في معركة ديو البحرية عام ١٥٠٩ م وكانت قواهم قد ضعفت وانهارت أمام الدولة الفتية وهي الدولة العثمانية التي كانت مشغولة في صراعها مع الدولة الصفوية من جهة ومع دولة المماليك من جهة أخرى لذلك كانت السيادة العثمانية على منطقة الخليج العربي سيادة اسمية.

• معركة ديو البحرية :

شعر المسلمون بان حركة البرتغاليين تضر بمصلحة الدولة الإسلامية لان البرتغال بدئوا بإنشاء سلسلة من المراكز التجارية على الساحل الهندي بين سنتي ١٥٠٠- ١٥٠٥ م ( بداية القرن السادس عشر م ) كما تجاوزوا الحد الأحمر باستيلائهم على جزيرة هرمز على مدخل الخليج العربي عام ١٥٠٧م وغيرها من النقاط الإسلامية الإستراتيجية.

فأرسل السلطان قنصوه الغوري سلطان مصر حملة بحرية كبيرة ضد البرتغاليين تحت قيادة حسين الكردي نائب السلطان في جدة، في عام (١٥٠٥م)، حتى وصل إلى جزيرة (ديو) ثم (شول).

والتقى السلطان المملوكي مع الأسطول البرتغالي بقيادة (لورنزو دي الميدا) وذلك في عام (١٥٠٨م) فكان النصر حليفه فى البداية، ولكن عزز البرتغاليون قوتهم و احتلوا المزيد من المواقع الإسلامية على الساحل الهندي في أول عام (١٥٠٩م) ومنها غوا ودايول كما احتل البرتغال مدينة ديو الهندية مما أثر سلبا على التجارة الإسلامية فعقدت المعاهدات بين الدولة العثمانية ومصر، وسلاطين الإمارات الهندية الذين طلبوا مساعدة الدولة الإسلامية إضافة إلى مدينة البندقية وتم إرسال أسطول مشترك من هذه الدول بمساعدة تقنية بحرية من البندقية.

وانضمت القوى الجديدة إلى حسين الكردي، ولكن باغت البرتغاليون الأسطول في الثالث من فبراير عام ١٥٠٩م وشنوا هجوما غير متوقع على الأسطول الإسلامي مما أدى إلى تدمير الأسطول فكانت معركة ديو البحرية معركة حاسمة وفاصلة حيث كانت إيذاناً بانتهاء سيطرة المسلمين على خطوط التجارة البحرية مع أسيا ولذا تعتبر واحدة من أهم المعارك البحرية في التاريخ وبهزيمة المسلمين فيها شرع البرتغاليون في احتلال الموانئ الإسلامية الرئيسية واحتكروا البحر لمدة ١٠٠ عام.

وقد شهدت الفترة ما بين عامي ١٥٠٧- ١٦٥٠ م صراعا بين القوى العربية في الخليج وبين البرتغاليين، وقد استخدم البرتغاليون في تلك الفترة اعنف أساليب الإرهاب بكل وسائل القوة لإخضاع العرب لنفوذهم. وخلال تلك الفترة حاول العثمانيين تضييق الخناق على البرتغاليين والوقوف أمام مشروعهم الاستعماري.
فقد أدرك السلطان العثماني سليمان القانوني فداحة الأضرار الناجمة عن إبعاد العرب عن أسواق التجارة في الشرق. والجهود التي بذلها العثمانيين في ذلك رغم قوتها واتساع نطاقها لم تؤدى إلى نتائج حاسمة، ولكنها نجحت في منع الاستعمار البرتغالي من الامتداد إلى الداخل، كما حطمت إمكانية قيام جبهة مسيحية برتغالية حبشية ضد القوى العربية الإسلامية في البحر الأحمر وشمال أفريقيا.
فأرسلوا حملة يقودها سليمان باشا الخادم الذي استولى على مسقط وحاصر شبه جزيرة مسندم ومضيق هرمز وحرض أهل القطيف على الثورة ضد البرتغاليين، وقد تمكنت الدولة العثمانية من السيطرة على مسقط وجزيرة قشم ولكنها عجزت عن السيطرة على مضيق هرمز.
كما شهدت الفترة ما بين ١٥٥٢ – ١٥٥٤م العديد من المواجهات بين الأسطولين العثماني والبرتغالي عبر الخليج العربي والبحر الأحمر وانتهت بهزيمة العثمانيين، الذين استطاعوا بعد ذلك تحقيق بعض الانتصارات على البرتغاليين فيما بين ١٥٥٧ – ١٥٨١م خاصة في البحرين ومسقط .
وقد استطاع العثمانيين أيضا بعد ذلك السيطرة على منطقة الإحساء، كما فقد البرتغاليين البحرين مرة أخرى فى عام ١٥٣٤م عندما أرسل حكام البحرين والإحساء والبصرة مبعوثين عنهم إلى بغداد للترحيب بالسلطان العثماني سليمان القانوني.
وعندما بدأ الزحف العثماني يؤتى ثماره على حساب الوجود البرتغالي رأت بريطانيا أن ازدياد التوسع العثماني في مياه الخليج يشكل خطر يهدد مركزها ونفوذها في المنطقة، لذلك سارعت إلى عقد اتفاقيات حماية مع حكام وشيوخ منطقة الخليج العربي لإضعاف النفوذ العثماني في المنطقة.
وقد عملت القوتان الأوربيتان الانجليزية والهولندية خلال الربع الأول من القرن السابع عشر على إقصاء النفوذ السياسي والتجاري البرتغالي من الخليج العربي.
على الرغم من اتخاذ البرتغاليين كل الإجراءات للدفاع عن أنفسهم بعد أن أحسوا بخطورة القوى المنافسة لهم عن طريق عدة إجراءات مثل إغراق الأسواق الفارسية بكميات كبيرة ومتنوعة من البضائع للتأثير على التجارة الانجليزية، ورغم ذلك حقق الانجليز أربحا، ولم تأتى هذه الخطوة بأي نتيجة.
وفى الربع الأول من القرن السابع عشر تمكن الانكليز مع حلفائهم الإيرانيين من إخراج البرتغاليين من الخليج العربي نهائياً عام ١٦٢٢م ليفرضوا سيطرتهم عليه و لعدة قرون.

---